

اِسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

7

الْفَيْحُ

الْعَالِمِ

الْمُحَمَّدِ الْبَكَّا

# الْفَتْحُ

الْفَتْحُ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ وَهِيَ تَعْنِي أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) هُوَ الَّذِي يَفْتَحُ أَبْوَابَ الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةَ لِعِبَادِهِ ، كَمَا أَنَّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يَفْتَحُ عَيُونَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ لِيُبْصِرُوا الْحَقَّ وَيَتَّبِعُوا الرُّشْدَ ، وَهُوَ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) الَّذِي يَفْتَحُ الْمَمَالِكَ لِلنَّبِيِّينَ ، وَيُخْرِجُهَا مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِهِ ، فَكُلُّ فَتْحٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ . فَسُبْحَانَ الْفَتْحِ الَّذِي يَفْتَحُ خَزَائِنَ رَحْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَيَفْتَحُ عَلَى النَّفْسِ بَابَ تَوْفِيقِهِ ، وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ لِلْمُتَّابِينَ وَاللَّائِذِينَ بِحِمَاةِ اللَّهِ ، وَمِنْ مَعَانِي الْفَتْحِ فِي اللُّغَةِ أَنَّهُ يَأْتِي بِمَعْنَى الْحَاكِمِ ،

أَيُّ الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ وَيَقْضِي بَيْنَهُمَا  
بِالْعَدْلِ وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمَا فِيمَا يَتَنَازَعَانِ فِيهِ . قَالَ  
(تعالى) : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ  
وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ . (سبا : ٢٦)

وَلَعَلَّى أَهْمَسَ قُلُّ أُذُنِ الْأَصْدِقَاءِ بِمُنَاسَبَةِ الْحَدِيثِ عَنْ  
اسْمِهِ (تعالى) الْفَتَّاحُ ، أَنْ يُحَاوَلَ كُلُّ صَدِيقٍ وَهُوَ يُحَاوِرُ  
صَدِيقَهُ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، سَوَاءً أَكَانَ هَذَا  
الْحَقُّ مَعَهُ أَوْ مَعَ صَدِيقِهِ ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالِاحْتِكَامِ  
إِلَى الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ وَاللَّجْوَاءِ إِلَى اللَّهِ (تعالى) لِكَيْ يَفْتَحَ  
عَلَى الْجَمِيعِ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى الْحَقِّ .

وَلَقَدْ قَالَ أَحَدُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ : مَا جَادَلْتُ أَحَدًا إِلَّا وَتَمَنَيْتُ  
أَنْ يَظْهَرَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى يَدَيْهِ .

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ عِنْدَمَا يَسْتَعَصِي عَلَيْهِ أَمْرٌ مَا أَوْ  
يَحْتَدِمُ الْجِدَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ وَلَا يَعْرِفُ مَخْرَجًا مِنْ  
ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يُلْجَأُ إِلَى اللَّهِ (تعالى) دَاعِيًا وَرَاجِيًا أَنْ يُلْهِمَهُ

الصَّوَابَ وَأَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ  
عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا  
بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (الأعراف : ٨٩)

وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يَجْعَلُ الْحَقَّ هَدًى وَالْحَقِيقَةَ  
مُبْتَغَاهُ سَوْفَ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيُذِلُّ لَهُ الصُّعَابَ .  
وَيَحْكِي لَنَا التَّارِيخُ عَشْرَاتِ الْقِصَصِ الَّتِي تُؤَكِّدُ أَنَّ  
اللَّهَ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) يَفْتَحُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ الَّذِي  
يُلْجَأُ إِلَيْهِ . فَعِنْدَمَا اشْتَدَّ الْخِصَامُ بَيْنَ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ  
أَبِي حَنِيفَةَ النِّعْمَانِ وَبَيْنَ بَعْضِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ  
رُجُودَ اللَّهِ ، لَجَأَ الْإِمَامُ إِلَى اللَّهِ فَالْتَمَسَهُ الْإِجَابَةَ الَّتِي  
أَسْكَنَتْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ ، وَأَخْرَسَتْ أَلْسِنَتَهُمْ وَانْتَصَرَ  
عَلَيْهِمْ بِالْحُجَّةِ وَالْبَرَهَانِ بَعْدَ أَنْ أَثْبَتَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا  
الْكُونَ وَمَا فِيهِ يَشْهَدُ بِعَظَمَةِ الْخَالِقِ ، وَأَنَّهُ مِنَ  
الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَنْشَأَ صُدُقَةٌ أَوْ عَيْشًا ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ  
جَائِزًا فَلِمَاذَا لَا تَرَى سَفِينَةً تُصْنَعُ هَكَذَا بِمَا صَانِعِ .  
وَكَانَ رَدُّ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فَتْحًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

كما أن الطالب الذي يأخذ بالأسباب  
 ويستذكر دروسه بجدية ، إذا استصعب مسألة  
 فإنه يلجأ إلى الله لكي يسهل له الإجابة ، ولا أحب  
 أن يفهم صديقي الطالب أن الإجابة ستهبط عليه من  
 السماء ، ولكن الله قد يلهمه التركيز في المسألة أو  
 قد يمهده بمن يعينه على مسألة كأستاذ أو صديقه .  
 ومن معاني اسمه (تعالى) «الفتاح» : الناصر ،  
 كقوله (تعالى) : ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ .  
 (الأنفال : ١٩)

أى : إِنْ تَطَلَّبُوا النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ - يَعْنِي أَنْ تَأْخُذُوا  
 بِالْأَسْبَابِ وَتُسْتَعِدُّوا اسْتِعْدَادًا جَيِّدًا - فَإِنَّ النَّصْرَ قَدْ  
 جَاءَ ، وَعَبَّرَ اللَّهُ بِالْفِعْلِ «جَاءَ» فِي صِيغَةِ الْمَاضِي لِيَدُلَّ  
 عَلَى أَنَّ النَّصْرَ قَدْ أَتَى بِالْفِعْلِ أَوْ فِي حُكْمِ ذَلِكَ .  
 ومن كرم الله ولطفه أنه يفتح على المؤمنين  
 بالهداية والصَّلاح والرزق بدون حساب ، ولا راد  
 لقضائه ولا ممسك لعطاياه ، قال (تعالى) ﴿مَا يَفْتَحُ

اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تُؤْسِكْ لَهَا

وَمَا يُؤْسِكْ فَلَا تُرْسِلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ (فاطر : ٢٠)

وَالَّذِي يُسْأَلُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ

الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ ، يَجِدُ أَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ ، وَأَنَا

لَكِي تَتَحَقَّقُ لَنَا أُمْنِيَّاتُنَا فَعَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ بِجَدِّ وَنَأْخُذَ

بِالْأَسْبَابِ وَأَنْ نُلْجَأَ إِلَى اللَّهِ (تَعَالَى) قَبْلَ ذَلِكَ . قَالَ

(تَعَالَى) ﴿٢١﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا

عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا

فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٢﴾ (الأعراف : ٩٦)

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَفْتَحَ عَلَيْنَا رِعْلِي قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

وَأَنْ تَفْتَحَ عَلَيَّ بِلَدِّنَا الْحَبِيبِ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ وَأَنْ

تَفْتَحَ عَلَيَّ كُلَّ أَوْطَانِنَا بِالْيَمَنِ وَالْبَرَكَاتِ . سُبْحَانَكَ

أَنْتَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ

﴿٢٣﴾ (الأعراف : ٩٦)

# الْعَالِمُ

عندما يغتر أحدٌ بعلمه ويزهر على الناس بمعرفته فإن  
أهل العقل والحكمة يحذرونه من الغرور ويقولون  
- يا أخى تذكر أنه فرق كل ذى علمٍ عليمٍ أى أنه لا يعلم  
كل شيء ، ولا يحيط بكل شيء علماً إلا الله ( تعالى ) ،  
فهو يعلم السرائر والخفايا ، ويعلم الغيب والشهادة ،  
ويعلم ما سوف يكون ، يعلم كل شيء ظاهرة وباطنة ،  
ودقيقه وجليله ، أوله وآخره . قال ( تعالى ) : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ  
الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ  
مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ

وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

(الأنعام : ٥٩)

إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَخَصَّصُ فِي فَرْعٍ دَقِيقٍ مِنْ فُرُوعِ الْعِلْمِ ، فَيُظَلُّ يَقْرَأُ الْمَزِيدَ وَالْمَزِيدَ فِي هَذَا الْفَرْعِ ، وَكُلَّمَا تَعَمَّقَ فِي الْقِرَاءَةِ كُلَّمَا أَدْرَكَ أَنَّ مَا يَعْلَمُهُ قَلِيلٌ ، وَأَنَّ مَا بَجْهَلِهِ كَثِيرٌ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ بَحْرٌ لَا قَرَارَ لَهُ . لِذَلِكَ

قَالَ الشَّاعِرُ :

فَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي فِي الْعِلْمِ مَعْرِفَةً

عَلِمْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

بَلْ إِنَّ الَّذِي يَقْرَأُ شَهَادَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ يَرَى

أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَسْرَارِ الْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ وَالْمَوْتِ

وَالْحَيَاةِ إِلَّا أَقْلَ الْقَلِيلِ ، وَالْعَالَمُ قَدْ يَنْسَى ، وَقَدْ

تَخَلَّطَ عَلَيْهِ الْأُمُورُ فَيَقَعُ فِي خَطِئٍ ، لَكِنْ عِلْمُ اللَّهِ

(تَعَالَى) الْعَلِيمُ ، لَا يَغْتَرِبُهُ نَسْيَانٌ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخَالَفَ

الْحَقِيقَةَ وَالْوَاقِعَ ، لِأَنَّ عِلْمَهُ شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ ،



مُحِيطُ بِهَا ، سَابِقٌ عَلَى وُجُودِهَا ، فَهُوَ  
يَعْرِفُ مَصِيرَ الْإِنْسَانِ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ ، وَشَقِيُّ هُوَ أَمُّ  
سَعِيدٌ . يَقُولُ (تَعَالَى) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ  
وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ  
مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ  
اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . (لقمان : ٣٤)

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْحَقَائِقَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا خَفِيَ ،  
فَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ فِي صَالِحِ الْإِنْسَانِ ، فَهُوَ يَهْدِيهِ إِلَى  
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَاللَّهُ (تَعَالَى) يَتَجَلَّى عَلَى خَلْقِهِ  
فَيَكْشِفُ لَهُمْ مِنْ أَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ لِكَيْ يُوقِنُوا أَنَّهُ هُوَ  
الْمَخْلُقُ الْقَادِرُ .

وَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ اللَّهِ الْخَاتَمِ يَقُومُ عَلَى الْعِلْمِ  
وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، فَهُوَ يَطْلُبُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى  
بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ فَلَا يَقْبَلُوا شَيْئًا بِدُونِ بُرْهَانٍ أَوْ دَلِيلٍ .  
يَقُولُ (تَعَالَى) : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ  
الْعُلَمَاءُ ﴾ . (مناظر : ٢٨)

فَالْعَالَمُ بِحَقِّ سَوَاءٍ أَكَانَ عَالِمًا فِي اللُّغَةِ  
أَوِ الدِّينِ أَوِ الذَّرَّةِ أَوِ الطَّبِّ يَتَكَشَّفُ لَهُ مِنَ الْحَقَائِقِ  
مَا يَجْعَلُهُ يَعْرِفُ قَدْرَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ وَقُوَّتَهُ .

وَقَدْ حَثَّ الرَّسُولُ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ  
لِكَيْ يَنْفَعُوا أَنْفُسَهُمْ وَيَبْنُوا بِلَادَهُمْ ، فَقَالَ : « طَلَبُ الْعِلْمِ  
فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ، بَلْ إِنَّهُ يَشْرَى بِطَلَبِ  
الْعِلْمِ وَيَجْتَهِدُ فِي طَلَبِهِ بِالْجَنَّةِ فَقَالَ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا  
يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ » . بَلْ هُنَاكَ  
مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ ، حَيْثُ جَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ طَلَبَ  
الْعِلْمِ وَالْحُصُولَ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ - عَدَا الْفَرَضِ -  
فَقَالَ : « مَجْلِسُ عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ عَامًا » .  
وَلَعَلَّ الَّذِي يَقْرَأُ تَارِيخَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ  
يَذْرُكُ عُمُقَ فَهْمِهِمْ وَنُضْجَ عَقُولِهِمْ ، حَيْثُ نَبَغُوا فِي  
شَتَّى الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ : فِي الْحَبْرِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالطَّبِّ  
وَالْكِيمْيَاءِ وَالطَّبِيعَةِ وَالْفَلَكَ وَالشَّرِيعَةِ ، وَسَطَعَتْ  
أَسْمَاؤُهُمْ كَالنُّجُومِ مِثْلَ : الْخَوَارِزْمِيِّ وَجَابِرِ بْنِ حَيَّانَ

وَابْنِ سِينَا وَالْحَسَنُ بْنُ الْهَيْثَمِ وَآلَافٌ غَيْرُهُمْ  
وَأَخَذَتْ أَوْرُبَا وَالْعَالَمُ كُلُّهُ عَنْهُمْ وَتَعَلَّمَتْ مِنْ  
كُتَابَاتِهِمْ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَالَمِينَ الْعَرَبِيَّ وَالْإِسْلَامِيَّ  
بَحْثِيانِ الْآنَ بِمَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي شَتَّى أَنْوَاعِ  
الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ ، وَهَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ يُسْهِمُونَ بِشَكْلِ  
كَبِيرٍ فِي تَقْدِيمِ الْأُمَّةِ وَازْدِهَارِهَا .

وَإِذَا كُنَّا سَنَتَعَلَّمُ مِنْ اسْمِهِ (تَعَالَى) «الْعَلِيمِ»  
الاهْتِمَامَ بِالْعِلْمِ ، فَإِنَّ هَذَا الْاسْمَ يُعْطِينَا الثِّقَةَ فِي اللَّهِ ،  
وَفِي تَأْيِيدِهِ لَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَطَالَمَا أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ،  
وَأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مَا أَمَرْنَا  
بِهِ فِيهِ السَّعَادَةُ لَنَا وَالصَّفْوَةُ وَالْازْدِهَارُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ  
يَأْمُرْنَا إِلَّا بِكُلِّ خَيْرٍ وَلَمْ يَنْهَنَا إِلَّا عَنْ كُلِّ شَرٍّ .  
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ «الْعَلِيمُ» إِذْ يَقُولُ ﴿ قُلْ هَلْ  
يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ  
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزُّمَرُ : ٩)

# الْقَابِضُ الْبَاسِطُ

يَأْتِي هَذَانِ الْأَسْمَانِ مُقَرَّنَيْنِ دَائِمًا ، وَذَلِكَ لِكَى  
يُظْهِرَا قُدْرَةَ اللَّهِ الْمُطْلَقَةَ فِي تَسْيِيرِ شُؤْنِ خَلْقِهِ ، فَهُوَ  
الَّذِي يُعْطِي وَيُمْنَعُ ، وَهُوَ الَّذِي يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ، عَطَاؤُهُ  
بِلا حُدُودٍ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُمْنَعُ هَذَا الْعَطَاءُ عَمَّنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ  
لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَمَنْ مَعَانَى اسْمِهِ (تَعَالَى) «الْقَابِضُ»  
أَنَّهُ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِالْمَوْتِ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَقَدْ  
وَكَّلَ اللَّهُ مَلَكَ الْمَوْتِ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَمَا يَحِينُ أَجَلُهَا .  
قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ  
بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ . (السَّجْدَةُ : ١١)

وَشُعُورُ الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ أَجَلَهِ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ  
 يَجْعَلُهُ يَظْمَنُ عَلَى مَصِيرِهِ ، فَهُوَ بِيَدِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ  
 وَالَّذِي يَرِيدُ لَهُ الْخَيْرَ وَالْهُدَايَةَ . كَمَا أَنَّهُ يَجْعَلُهُ  
 شُجَاعًا وَقَوِيًّا فِي قَوْلِ الْحَقِّ فَلَا يَخْشَى فِي اللَّهِ تَوَمَّةً  
 لَا تَمُوتُ وَلَا يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ . **بَابُ**  
 وَإِذَا كَانَتْ سُنَّةُ الْحَيَاةِ تَقْتَضِي اسْتِمْرَارَ عَمَلِيَّةِ  
 الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمُزْمِنَ إِذَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ  
 بِقَبْضِ رُوحِ إِنْسَانٍ عَزِيزٍ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ  
 وَيَتَحَمَّلُ ، وَلَا يَجْزَعُ ، وَيَقُولُ مَا يُغْضِبُ رَبَّهُ . قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ ( تَعَالَى )  
 لِمَلَأْتُكَ : قَبَضْتُكَ وَلَدَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ .  
 فَيَقُولُ : قَبَضْتُكَ ثَمَرَةً فَزَادَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيَقُولُ :  
 مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمْدُكَ وَاسْتَرْجَعْ - أَيْ قَالَ :  
 إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ - فَيَقُولُ اللَّهُ ( تَعَالَى ) : ابْتَوَا  
 لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ . »

( رواه الترمذی )

إِنَّ الْقَبْضَ كَمَا رَأَيْنَا صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ  
 (تَعَالَى) حَيْثُ تَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ وَتَشِيرُ إِلَى عَظَمَتِهِ ،  
 فَلَا يَقْبِضُ إِلَّا هُوَ وَلَا يَبْسُطُ إِلَّا هُوَ . وَمِنْ مَعَانِي «الْقَابِضِ» :  
 الْمَانِعُ ، فَهُوَ يَمْنَعُ رَحْمَتَهُ عَنِ الْمُتَكَبِّرِينَ وَالْكَافِرِينَ  
 فَلَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ ، وَهُوَ يَمْنَعُ السُّوءَ وَالشَّرَّ عَنِ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَيَحْمِيهِمْ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنَ الْأَعْدَاءِ . . .  
 . أَمَّا مَعْنَى اسْمِهِ تَعَالَى «الْبَاسِطُ» : فَهُوَ الْمَوْسِعُ وَالْمَنْعَمُ  
 بِالرِّزْقِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، كَمَا أَنَّ (تَعَالَى) هُوَ  
 الَّذِي يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى عِبَادِهِ ، يَرْزُقُهُمْ  
 وَيُوسِّعُ عَلَيْهِمْ وَيَجُودُ بِعَطَايَاهُ إِلَى حَدِّ أَكْبَرٍ ثَمَّا يَحْتَاجُ  
 إِلَيْهِ الْعَبْدُ ، فَيَزِيدُهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَالْمَالِ .  
 وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ (تَعَالَى) أَنَّهُ يَبْسُطُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بِمَقْدَارٍ  
 حَتَّى لَا يَبْعَثِيَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَيُظَنُّ أَنَّهُ  
 قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . يَقُولُ (تَعَالَى) : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ  
 الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ  
 إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ .  
 (الشورى : ٢٧)

لَقَدْ اخْتَبَرَ اللَّهُ قَارُونَ بِالْمَالِ فَبَسْطَ لَهُ وَرَاسَهُ  
عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ بِلاَ حُدُودٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ فَقِيرًا ، وَبَدَلًا  
مِنْ أَنْ يَنْفِقَ هَذَا الْمَالُ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ،  
وَأَحْزَانِ هَذَا الْمَغْرُورِ يَتَجَبَّرُ وَيَتَكَبَّرُ عَلَى قَوْمِهِ وَيَقُولُ : أَنَا  
أَكْثَرُ النَّاسِ مَالًا ، وَهَذَا الْمَالُ قَدْ أُوتِيَهُ بِسَبَبٍ عَلِمِي  
وَذِكَايَ ، وَعِنْدَمَا كَانَ الْعُقْلَاءُ مِنْ قَوْمِهِ يَنْصَحُونَهُ  
بِالتَّوَاضُعِ وَالرَّحْمَةِ كَانَ يَسْخَرُ مِنْهُمْ وَيَتَهَمَّهُمْ بِالْحَقْدِ  
وَالْحَسَدِ ، وَلَمَّا ارْتَدَادَ جَهْلُهُ وَكَبُرَ عَاقِبَةُ اللَّهِ فَأَمَرَ  
الْأَرْضَ فَانْشَقَّتْ مِنْ تَحْتِهِ وَابْتَلَعَتْهُ هُوَ وَكُنُوزُهُ وَأَمْوَالُهُ .  
قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى  
عَلَيْهِمْ وَاتَّيَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي  
قُوَّةٍ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \*  
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ  
الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ  
فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ \* قَالَ إِنَّمَا  
أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ

مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً  
وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

(القصص : ٧٦-٧٨)

ولذلك فقد حذر الرسول ﷺ الرجل الذي طلب منه  
أَنْ يَدْعُو لَهُ أَنْ يُسْطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَمَالِهِ وَقَالَ لَهُ  
الرَّسُولُ ﷺ : يَا هَذَا قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ  
لَا تُطِيقُهُ . فَقَدْ بَلَغَى الْمَالُ الْإِنْسَانَ وَبُنْسِيهِ ذَكَرَ رَبَّهُ ،  
وَقَدْ بَظَنُّ أَنَّهُ يَسْتَمِدُّ مَكَانَتَهُ وَقُوَّتَهُ مِنْ غِنَاهُ وَمَالِهِ ،  
وَلَوْ أَدْرَكَ الْحَقِيقَةَ لَعَرَفَ أَنَّهُ يَسْتَمِدُّ قُوَّتَهُ وَمَكَانَتَهُ مِنْ  
رِضَا اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ الْبَرَكَاتِ الَّتِي يُضَعُّهَا اللَّهُ فِي هَذَا  
الْمَالِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَقْبِضَ عَنَّا كُلَّ سُوءٍ وَتَمْنَعَ عَنَّا  
كُلَّ شَرٍّ ، وَأَنْ تَسْطَ لَنَا فِي الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ وَالرِّزْقِ  
الْحَلَالِ .